الشخصيات المثالية في إطار الثقافة الإسلامية

دكتور/ حسن عمر قريشين ـ كلية اللغات ـ جامعة طرابلس

الحمد لله الذي لا يحمد بحق سواه، ولا يعبد غيره، والصلاة والسلام على نبي الرحمة وهادي الأمة، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

فلقد اخترت أن يكون عنوان بحثي (الشـــخصـــيات المثالية في إطار الثقافة الإسلامية) والذي يشتمل علي خمسة مطالب:

المطلب الأول- الثقافة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني- مصادر الثقافة الإسلامية

المطلب الثالث- مدلولات الثقافة الإسلامية

المطلب الرابع -مزايا الثقافة الإسلامية

المطلب الخامس- الشخصية المثالية في إطار الثقافة الإسلامية

المطلب الأول- الثقافة لغة واصطلاحاً:

الثقافة لغة في القواميس المختلفة تعني الحذق والفطنة والذكاء وســرعة التعلم والفطن هو الفطين الحاذق، أي يقال ثقف العلم والصـــناعة والصـــناعة أي حذقهما والشـــيء ظفر به[1] القرآن الكريم (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ)[2]، فيقال ثقف يثقف ثقفاً وثقفاً ورجل ثقف أي كان محكماً لما يتناوله من الأمور[3].

إذن فمعنى الثقافة الحذق والفطنة إذا كأن الفعل لازما، وهي بمعني التهذيب والتقويم إذا كان الفعل متعدياً.

ومن معانيها المجازية حديثاً: المشـاركة البارعة في أنواع شـتى من المعرفة، وبلوغ الفرد والجماعة مبلغاً أســمى في كســب المعلومات، وتعني الثقافة –أيضـــاً- استساغة القيم الفكرية الإنسانية وأسلوب الإدراك الحضاري.

والثقافة ـــ أيضا ـــ عند المفكرين المعاصرين: هي الحصيلة الطبيعية للقراءة الواعية والدراســـة ونظريات الآخرين وتجاربهم، والتأمل في نظرياتهم، وإدراك مشـــاعرهم، أي أنها أعمق من التقويم والتعليم، أنها تعني كما يقول بعض المفكرين المعاصـرين (منح الإنسـان حيوات متعددة في الحياة الواحدة وأعمارا طويلة مع العمر المحدود)[4].

قال الأستاذ العقاد: (إن القراءة دون غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة في عمر الإنســان الواحد ؛ لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق وإن كانت لا تطيلها من ناحية الحساب)[5].

وهي بمفهومها الحضــاري وتأثيرها الاجتماعي تمنح الأمة طابعها المميز في فهمها لطبيعة الحياة والتزامات الإنسان، وتحديد مركزه في مجتمعه ومعرفة علاقته بمواطنيه وبالناس خارج وطنه وكيفية تفاعله مع القوى والعناصر الإنسانية والكونية[6].

الثقافة- بعبارة مختصــرة بينة- هي ما تعكســه حضــارة معلومة تضــم ثمرات الفكر من العلم وقانون وفنون، وهنا نســتطيع أن نتبين بعدما ما ذكرنا من تعريفات أن هنالك فرقاً دقيقاً بين الثقافة والعلم.

المفهوم الصحيح لمعني (الثقافة): إنها نظرية سلوك أكثر منها نظرية معرفة، إذ إنها تهيئ للحياة الحضارية وتعنه على التطور الاجتماعي المطلوب.

المطلب الثاني- مصادر الثقافة الإسلامية:

إن مما يميز الثقافة الإســلامية أنها ربانية المنبع، نبوية الإرشــاد، تاريخية النسب، حيث إنها لها تاريخ له أصالته ومكانته وجلاله، ومن المعلوم أن لها مصادرها الأساسية التي تستخلص لما يلي--

أولا-القرآن الكريم

إن القرآن الكريم كلام الله ووحيه وتنزيله على سيدنا محمد- صــلى- الله عليه وســلم، قال الله تعالى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَــانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)[7].

(إن الروح الأمين هو جبريل عليه الســلام نزل بهذا القرآن الكريم من عند الله على قلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم، وهو أمين على ما نزل به حفيظ عليه، نزل بـه على قلبـه فتلقاه تلقياً مباشــراً ووعاة وعياً مباشــراً، نزل به على قلبه ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين هو لسان قومه الذي يدعوهم به ويتلو عليهم، وهم يعرفون مدى ما يملك البشر أن يقولوا، ويدركون أن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر وإن كان بلغتهم، وأنه ينظمه وبمعانيه وبمنهجه وتناســبه يشــير بأنه آت من مصــدر غير بشري يقين)[8]

ويكفي الثقافة الإسلامية شرفاً أن يكون مصدرها الأساسي الأول هذا القرآن الذي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[9]

ولقد بين الحق- سـبحانه وتعالى- أن هذا القرآن العزيز يهتدي للتي هي أقوم فقال عز من قائل: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّـرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)[10].

فهو تعالى يبين في هذه الآية الكريمة أن القرآن الذي أنزله على رسوله محمد- صلى الله عليه وسلم-، بأنه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات على مقتضاه أن لهم أجرا كبيراً أي يوم القيامة، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة: أي ويبشر الذين يؤمنون بالآخرة أن لهم عذاباً أليماً أي يوم القيامة. [11]

ولقد آتى الله عز وجل رسـوله محمد –ص الله عليه وسـلم -هذا القرآن الكريم وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيماً.

ومن حكمته –سبحانه- أنه أراد أن يحفظ على هذه الأمة اعتدالها وتوازنها وأن يجعلها وسـطا في عقائدها وأخلاقها وعباداتها ومعاملاتها، فعلى الصـعيد الاجتماعي مهد لذلك بتصحيح مقاييسها ودعوتها إلى ما يحييها، فثقافة القرآن الكريم ثقافة شمولية أي اسـتوعبت جميع مناحي الحياة، وإنما يدل على ذلك أنه لما اتفقت جماعة من الصـحابة على أن يجيبوا أنفسـهم ويعتزلوا النسـاء ولا يأكلوا لحماً ودسـماً ويلبسـوا المسوح ولا يأكلوا من الطعام إلا قوتاً ويسيحوا في الأرض كهيئة الرهبان أنزل لتقويم هذا الانحراف عن دواعي الفطرة قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[12]

ومن عجائب الإيحاء التعبيري في القرآن أن انحراف أولئك الصحابة شبه في الآية الكريمة بالاعتداء والعدوان[13]

وعلى الصـعيد التربوي أراد الحق - سـبحانه وتعالى- بثقافة القرآن الكريم أن يحطم العصـبية الجاهلية الرعناء، وأن يسـتبدل التقوى بتفاخرها بالآباء، فمهد بذلك برفع العبيد الأرقاء إلى مقام السادة الأحرار، إن بلالاً الحبشي الأسود ليصعد إلى ظهر الكعبة المشـرفة ويؤذن يوم فتح مكة، فيسـتنكر المشـركون قائلين: (أهذا العبد الأسـود يؤذن على ظهر الكعبة؟!) فنزل على قلب الرسـول- ص- الله عليه وسـلم آية تضـع الموازين القسط للأشـخاص والقيم والأشياء[14] لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[15]

فلم يزين قلوبهم بحلية الإيمان الصادق والعبادة الخالصة والخلق النبيل، إلا بعد أن مهد لذلك بتقبيح تقاليدهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة شيئاً فشيئاً، وساعده نزوله المنجم على حفظ آياته في الصدور كما قوى من عزائمهم في الشدائد، فكان دستور حياتهم علماً وعملاً، وكان المدرسة الصالحة التي تتفقوا فيها وصاغت منهم رجالاً عرفهم التاريخ، منهم حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس- رضي الله عنه وعن أبيه- الذي قال: (نزله جبريل بجوانب كلام العباد وأعمالهم)[16]

والقرآن الكريم إنما كان يشير إلى هذا النوع من التربية المثالية التي أتاحها للمؤمنين حيث إن كتابهم نزل منجما حسب الحوادث والوقائع قال الله تعالى: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا) [17]

فهو كتاب وقرآن وفرقان وذكر وتنزيل، فرقة الله عز وجل أي أنزله منجماً لتعم معارفه ومفرقا غير مجتمع يقال: فرق الأشياء أي إذا باعد بينها وفرق الصيرة إذا جزءها، ويطلق الفرق علي البيان لأن البيان يشبه تفريق الأشياء المختلطة فيكون معنى فرقناه: بيناه وفصلناه (لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) فهما علتان أن يقرأ على الناس وتلك علة لجعله قرآنا، وأن يقرأ على مكث أي مهل وهي علة لتفريقه والحكمة في ذلك أن تكون ألفاظه ومعانيه أثبت في نفوس السامعين وتثقيفهم وطوي بيان الحكمة للاجتزاء بما في قوله تعالى (لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) من اتحاد الحكمة وهوما صرح به قوله تعالى: (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) [18]

هذا هو القرآن الكريم الذي يعتبر المصر الأساسي الأول للثقافة الإسلامية.

ثانيا- السنة المطهرة

المصدر الثاني من مصادر الثقافة الإسلامية السنة النبوية الصحيحة الثابتة عن الرسول محمد- ص الله عليه وسلم -المشتملة على أقواله وأعماله وأوامره ونواهيه وإرشاداته وتوجيهاته فحياة الرسول صلى الله عليه وسلم حافلة بذلك جميعه، قال الله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [19]

وقال عز من قائل: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)[20]، وقال سبحانه: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [21]

وقال سبحانه: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [22]

وهنالك الكثير من الآيات التي تأمرنا على الأخذ بما جاء به الرسـول الأكرم صـلى الله عليه وسـلم وحذرنا الحق سـبحانه من مخالفة أمره، فقال: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (23)

ولقد أكد الرسـول- صـلى الله عليه وسـلم -أهمية أتباع أمره وفيه في أحاديث كثيرة منها ما رواه أبو هريرة رضـي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال: (دعوني مـا تركتكم فـإنما من كان قبلكم كثرة سـؤالهم واختلافهم علي أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيءاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم) متفق عليه (24)

ومنها ما رواه أبو نجيح العرياض بن سـارية- رضـي الله عنه- عنه صـلى الله عليه وسـلم قال: (وعظنا رسـول الله -صـلى الله عليه وسـلم- موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت العيون فقلنا يا رسـول الله كأنها موعظة مودع فأوصـنا، قال: أوصـيكم بتقوى الله والسـمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشـي، فإنه من يعيش منكم فسـيرى اختلافا كبيراً فعليكم سـنتي وسـنة الخلفاء الراشـدين المهديين عضـوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) (25)

ومنها ما رواه أبو هريرة – رضـي الله عنه- عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعنى فقد دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) (26)

إذن فالثقافة الإسلامية مصدرها الثاني حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن افراد الأمة جميعهم بما فيهم حاكمهم ومحكومهم لا يملكون مخالفة شـرع الله عز وجل ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا شرعت الأمة ما يخالف ذلك لم يكن لثقافتها مكان ،لأنها خالفت مصادر ثقافتها، لذلك من الواجب عليها أن تقوم حياتها على هذا المنهاج الوضعي وأن تحرمه وأن لا تخالفه.

ثالثا- االتاريخ الإسلامي :

المصـدر الثالث من مصـادر الثقافة الإسـلامية تاريخ المسـلمين عبر عهوده المتتالية منذ عهد نزول القرآن الكريم إلى الآن، فهي- أي الثقافة الإسـلامية- ربانية المنبع، نبوية الإرشاد، تاريخية المرجع، حيث إنها تنتمي إلى تاريخ عريق يشتمل على نماذج رائعة وأمثلة كثيرة في الحضارة الإنسانية.

يقول الدكتور عبد الكريم عثمان: (إن الثقافة الإسلامية تجمع بين الغايات والوسائل وبين العلم والإيمان، وكونها تستمد كيانها من مبادئ الدين لا يعني تخليها عن العقل والعلم، لاعتماد الثقافة عليهما، واحتفاؤها بهما لا يحتاج إلى بيان)[27]

قال العلامة سيد قطب: (إن العقل والعلم ليسا بديلاً عن العلم والحضارة ولا عدوا لهما وإنما هو إطار ومحور لهما في حدود إطاره ومحوره الذي يحكم شؤون الحياة) [28]

ولذلك نجد صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم نماذج رائعة تربوا على الثقافة الإسلامية عندما تثربت أرواحهم النور الإلهي، فارتفعت به وصارت إلى تلك النماذج العالية التي تتشرف بها البشرية في جميع أعصارها وجميع أحوالها.

إن التأسي بهم والاقتداء بأعمالهم وأفكارهم ومشاعرهم محاولة مفتوحة أمام المسلمين أن كل جيل يصلون منها ما تقدر نفوسهم عليه [29]، وهكذا من جاء بعدهم من أئمة الهدي والدين وتبعهم بإحسان حيث وجدوا هذا التاريخ العظيم فاستلهموا منه ثقافتهم الإسلامية والعربية.

والخلاصة علينا أن نعلم أن المنهج الإلهي ليس عدواً للإبداع الإنساني وكذلك السنة المطهرة والسيرة العطرة وإنما هو منشئ لهذا الإبداع وموجه له الوجهة الصحيحة كي ينهض الإنسان بمقام الخلافة في الأرض. هذا المقام الذي منحه الله إياه واقدره عليه ووهبه من الطالب المكونة وسخر له من القوانين الكونية ما يعينه على تحقيق مقامه هذا على أن يتقيد بشروط الخلاف – فيعمل ويتحرك في نطاق ما شرعه العليم الحكيم [30]

المطلب الثالث- مدلولات الثقافة الإسلامية :

وعلى ضوء ما أوضحناه في المطلب الأول لمعنى الثقافة لغة واصطلاحاً وتأثيرا حضاريا أو الفرد المثقف والجماعة المثقفة على سواء، وعلى أساس مفهوم الثقافة على أنها نظرية سلوك أكثر منها نظرية علم مجرد، نأتي الآن إلى الحديث عن الثقافة الإسلامية العربية كضرورة اجتماعية للمسلمين عامة وللجيل الناشئ بصفة خاصة.

فنحن في هذا البحث حول (مفهوم الثقافة الإسلامية) نتحدث فيه علي أن التقاليد الإسلامية هي المدلولات الصحيحة عن الحق سبحانه وتعالى، وهذا الكون الفسيح وعن الإنسان المستخلف فيه، وعن الحياة التي يعيشها.

أما مدلول الثقافة الإسلامية عن الله سبحانه كخالق لهذا الكون وما فيه ومن فيه لاقاه سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء، قال الله تعالى: (قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) [31]، فهي الوحدانية في الخلق، وهي الوحدانية في القهر، أقصى درجات السلطان[32]، وقال سبحانه: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ)[33]، وقال أيضاً: (بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ)[34].

وإلى جانب فهم الإنسان عن الله كخالق فإن الثقافة الإسلامية تبين لنا الدليل الصحيح بالنسبة للعبادة، فهي لله تعالى وحده ولا معبود بحق سواه (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [35]

فالثقافة الإسلامية توحي إذا أتم الحامد حمد ربه يأخذ في التوجه إليه سبحانه بإظهار الإخلاص له، انتقالا من الإفصاح من حق الرب إلى إظهار مراعاة ما يقتضيه حقه تعالى على عبده من إفراده تعالى بالعبادة والاستعانة.

ولنعلم أنه من أهم الثقافة الإسلامية البحث عن سر العبادة وتأثيرها، وسر مشروعيتها لنا، وذلك أن الله تعالى خلق هذا العالم ليكون مظهراً لكمال صفاته تعالى: الوجود، العلم، القدرة، وجعل قبول الإنسان للكمالات التي بمقياسها يعلم نسبة مبلغ علمه وقدرته من علم الله تعالى وقدرته، وأودع فيه الروح والعقل اللذين بهما يزداد التدرج في الكمال، ليكون غير قانع بما بلغة من المراتب في أوج الكمال والمعرفة وأرشده وهداه إلى ما يستعين به على مرامه ليحصل له بالارتقاء العاجل، وفى آجل لا يضمحل، وجعل استعداده لقبول الخيرات كلها عاجلها وآجلها موقفا على التلقين من السفرة الموحى إليهم بأصول الفضائل.

ولما توقف ذلك على مراقبة النفس في ثغراتها وشرداتها، وكانت تلك المراقبة تحتاج إلى تذكر إنجازى بالخير وضده شرعت العبادة لتذكر ذلك المجازى، كما أن الثقافة الإسلامية تبين ما في ذلك التذكر من دوام الفكر في هذا الملكوت الفسيح، فظهر أن العبادة هي طريق الكمال المالي والاجتماعي مبدأ ونهاية [36].

قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [37]، ولا شك أن داعي الثقافة هنا عن الله أن العبادة له سبحانه، وداعيها التعظيم والإجلال له، ولذلك قال الله تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [38]، لذلك يشعر بأن الثقافة الإسلامية هي الفهم الصحيح بأن اتِّباع الشريعة يوجب محبة الله [39] وأن المحب يود أن يحبه حبيبه.

وكون الثقافة الإسلامية على أنها الفهم الصحيح عن الكون، لأن الكون مسخر من قبل الله عز وجل للإنسان لينتفع به، قال الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (40)

إن من معجزات هذا الكتاب العزيز أنه يربط كل مشاهد الكون وكل خلجات النفس إلى عقيدة التوحيد، ويحول كل ومضة في صفحة الكون أو في ضمير الإنسان إلى دليل أو إيحاء أو مفهوم، وهكذا يكون الكون بكل ما فيه معرضاً لآيات الله تبدع فيه يد القدرة وتتجلى آثاره أو كل مشهد ومنظر، وفي كل صورة فيه وظل أنه لا يعرض قضية الألوهية والعبودية في جدل ولا في لاهوت تجريبي ولا في فلسفة (ميتافيزيقية) ذلك العرض الميت الجاف الذي لا يمس القلب البشري ولا يؤثر فيه ولا يوحي إليه إنما هو يعرض هذه القضية في مجال المؤثرات والموجبات الواقعية من مشاهد الكون ومجال الخلق ولمسات الفطرة وبديهيات الإدراك في جمال وروعة واتساق (41)

فخط السماوات والأرض يتبعه خط الماء النازل من السماء والثمرات الثابتة من الأرض بهذا الماء، فخط البحر تجري فيه الفلك والأنهار تجري بالأرزاق... ثم تعود الريشة إلى لوحة السماء بخط جديد خط الشمس والقمر فخط آخر في لوحة الأرض متصل بالشمس والقمر: خط الليل والنهار ثم الخط الشامل الأخير الذي يلون الصفحة كلها ويظللها (42).

كل ذلك مسخر للإنسان، مسخر لهذا المخلوق الصغير، السماوات ينزل منها الماء والأرض تتلقاه الثمرات تخرج من بينهما، والبحر تجري فيه الفلك بأمر الله مسخرة، والأنهار تجري بالمياه والأرزاق في مصلحة الإنسان، والشمس والقمر مسخران دائبان لا يفتران والليل والنهار يتعاقبان، أفكل ذلك للإنسان؟ ثم لا يشكر(43)

والثقافة الإسلامية هي الفهم الصحيح عن الإنسان كمستخلف في هذه الأرض لعمارتها، قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (44)

وقال سبحانه: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ

بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [45]، وقال عز من جل: (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)[46]، وقال تعالى: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) [47].

والثقافة الإسلامية هي فهم الإنسان لتصرفاته الحسنة والسيئة، فيأتي بالحسنات ويبتعد عن السيئات، مدركاً معنى قوله سبحانه وتعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)[48]، وقوله جل ذكره: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) [49].

وإلى جانب هذا نجد الثقافة الإسلامية أنها الفهم الصحيح لحياة الإنسان كمجال لعمله على أسس إسلامية محكمة، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [50]

فالحياة معناها في الآية الكريمة الإصلاح أي ما يصلح الإنسانية، فعن خبيب بن عبد الرحمن قال: سمعت حفص بن عاصم يحدث عن أبي سعد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلى فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فلم أته حتى صليت ثم أتيته فقال: (ما منعك أن النبي؟ لم يقل الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) ... ثم قال لأعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج فذهب رسول الله -صلى الله عليه وسلم -ليخرج تذكرت له[51].

قال مجاهد في تفسير قوله تعالى (لِمَا يُحْيِيكُمْ) أي للحق، وقال قتادة: هو هذا القرآن فيه النجاة والبقاء والحياة، وقال السدي: ففي الإسلام إحياؤهم بعد موتهم بالكفر [52].

إن الثقافة الإسلامية وحدها هي السبيل في إصلاح الإنسان والالتزام بمنهجها ودعوتها واتُّباعها ضرورة دينية ،بل ضرورة الحياة والأحياء وفيها الفلاح والسعادة وبها النجاح، وفيها الدعوة الحكيمة وجماع الأمان لحياة الإنسان ضد أي انحراف أو تزييف أو شقاء، لأن في الثقافة الإسلامية حراسة وتزكية له وبغيرها يأتي الخوف وينعدم الطهر، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الطيبة والأسوة الحسنة قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)[53].

المطلب الرابع- مزايا الثقافة الإسلامية:

إن الثقافة الإسلامية مزايا خالدة فحين نذكرها أو نكتب فيها أو نتكلم حولها تتبين من فورنا الفرق الواضح بينها وبين الثقافات الأجنبية سواء كانت قديمة أو حديثة، عربية أم شرقية ذلك أن للثقافة الإسلامية امتيازات تتلخص أهميتها فيما يلي:

أولا- ما تمتاز به ثقافتنا الإسلامية أنها إنسانية فريدة عالمية شاملة تنظر إلى الناس وانتشار واحد، لا تفسد هذا المنظار ثغرة قومية آو حركة عنصرية، حيث إن الرابطة التي تربط بين القيم- في مفهوم الثقافة الإسلامية- هي (العقيدة الإسلامية الصحيحة)، والسلوك المتوازن الوافد أي العمل الصالح بما يرفع ميزان الفرد أو يخفضه، كما يقرر ذلك مصدرها الأول القرآن الكريم في قوله عز من قائل: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [54].

لقد كان إعجاب كل قبيلة بفضائلها وتفضيل قومها على غيرهم فاشيا في الجاهلية وكانوا يحقرون بعض القبائل مثل باهلة وضبيعة وبني عكل.

سئل أعرابي أتحب أن تدخل الجنة وأنت باهلي؟ فأطرق حيناً ثم قال: على شرقا أم يعلم أهل الجنة أني باهلي، فكان ذلك يجر إلى الإحزان والتقاتل وتتفرع عليه السخرية واللمز والظن والتجسس والاعتياب، فجاءت هذه الآية الكريمة لتأديب المؤمنين على اجتناب ما كان الجاهلية، لاقتلاع جذوره الباقية في النفوس، بسبب اختلاط طبقات المؤمنين سنة الوفود كثر الداخلون في الإسلام[55]، ونودوا في الآية الكريمة (بالناس) دون المؤمنين لإن الغرض من التذكير بأن واحد، أي أنهم في الخلقة سواء، ليتوصل بذلك إلي أن التفاضل والتفاخر إنما يكون بالقنطار وإلى أن التفاضل في الإسلام بزيادة التقوى، وهذا من مزايا الثقافة الإسلامية.

ثانيا- مما تمتاز به الثقافة الإسلامية بأن الدين الذي هو قوامها وصمامها، نظام كامل شامل، أي أنه منهج للحياة البشرية الواقعية بكل مقدماتها ومقوماتها وبكل تجاربها وعواقبها نظام يشمل التطور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة الوجود ويحدد مكان الإنسان فيه، كما يعين غاية الوجوه الإنساني، وهو يشمل أيضآ الأنظمة الواقعية التي تصدر عن ذلك التصور الاعتقادي كالنظام الأخلاقي والنظام الاجتماعي والنظام الاقتصادي والنظام السياسي[56].

إن شمول العقيدة في ظواهرها الفردية الاجتماعية: هو الميزة الخاصة في الثقافة الإسلامية، وفي الميزة التي توحي إلى الإنسان أنه شامل كامل فيستريح من

خصام العقائد التي تشطر السريرة إلى شطرين[57]، وحسبنا تقدير القرآن الكريم حيث يقول سبحانه وتعالى فيه: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [58].

ثالثا-من مزايا الثقافة الإسلامية أنها بارتكازها على العقيدة ليست من وضع بشر منساق طبيعة البشرية إلى عوامل الضعف والنقص والعصبية والطبقية، بل إن انبثاقها عن المنهج الإلهي بحلها تطلق الثقة الكاملة بها ويجعلها موضع الإيمان والتسليم ويغنيها- من ناحية أخرى- عن الوسائل التي يلجأ إليها لتزيين المفاهيم البشرية الناقصة المحدودة[59].

رابعا- ومما تمتاز به الثقافة الإسلامية- أيضاً- أنها ناتجة عن مبادئ الإسلام التي لا تتمثل في مجرد مجموعة من القيود والكوابح والضوابط الرادعة، وإنما هي في صميمها قوة بناءة وحركة دائمة إلى النمو والتطور، وانطلاق إلى تحقيق الذات في هذه الحركة بأسلوب نظيف [60]

من ثمرات الثقافة الإسلامية لكونها قرآنية المصدر، نبوية التوجيه، إنسانية الخلق، أن قامت الأجيال عبر تاريخها الطويل صورا مشرقة للحق والعدل والحرية والإخاء والمساواة والتكافل الاجتماعي في نماذج بشرية رائعة من الخلفاء الراشدين والأئمة المرضيين والعلماء البارزين ورجال الاقتصاد والتجارة النابغين والخاصة والعامة، فلقد كان الحاكم المسلم يقول لرعيته: (أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم) أو يقول لهم: (إن رأيتم في اعوجاجاً فقوموني)

وكان المسلم بقول للخليفة أو الأمير (اتق الله فينا، أو يقول له ليس هذا المال من كدك ومن أبيك، فلا يغضب الخليفة أو الأمير، فلا يعاقبه بسجن أو قتل (كما قال سعيد بن عامر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنه- في أول خلافته: يا عمر أوصيك أن تخشى أمام الناس، ولا تخشى الناس في الله، وأن لا يخالف قولك فعلك، فإن خير القول ما صدقه الفعل يا عمر: أقم وجهك لمن ولاك الله أمره من بعيد المسلمين وقربيهم، وأحب لهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك، وخض الغمرات إلى الحق ولا تخف فيه لومة لائم، فقال عمر: ومن يستطيع ذلك يا سعيد؟ فقال: يستطيع رجل مثلك ممن ولاه أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وليس بينه وبين الله أحد) [61].

خامسا- من مزايا الثقافة الإسلامية -أيضا -أنها ذات تفاعل وتجاوب تمنح الفرد الحرية كليا لتحقيق مقامه كخليفة في الأرض، يعمر هذا الكون والحياة بإحساس

مرهف ونظرة ثاقبة ويد عاملة منتجة، وفكر وقاد. وهذه (الإيجابية) في الثقافة الإسلامية ناتجة عن مبادئ الإسلام الرقية؛ لأنها قوة بناءة وحركة دافعة إلى التطور والنمو، وانطلاق إلى تحقيق الذات في هذه الحركة بأسلوب نقي طاهر عفيف.

ونجد القرآن الكريم الذي هو المصدر الرئيسي لثقافتنا الإسلامية له توجيهاته المتعددة الخالدة في هذا الميدان. وأظن أنه ليس بحاجة هنا إلى التفصيل حول هذا الموضوع حيث إن تقدم الفكر الإنساني في شتى العلوم والمعارف وما أحدثه من صناعات واختراعات واكتشافات متعددة ومتنوعة كان تحقيقا لوعود القرآن الكريم وأخباره الصحيحة. وكم هنالك من مزايا لا يتسع لها هذا البحث، وحسبنا ما ذكرنا سابقنا، والله الموفق والمعين.

المطلب الخامس- الشخصية المثالية في إطار الثقافة الإسلامية :

إن مما أفرزته الثقافة الإسلامية تكوينها للعرب اللذين أشرق نور الإسلام في أرضهم ونزل القرآن الكريم بلسانهم وعلى رجل عربي من بينهم، شخصية فريدة ذات عقيدة صحيحة ورسالة مجيدة، ودعوة راشدة، وخلق نبيل، وفكر سليم، وطريق مستقيم.

ولما ظهر هذا الفكر الفريد في دعوته المتميز في أطره، المعروف بمجالاته واتجاهاته، أو هذه الشخصية المسلمة المثالية، لذا كان من واجب كل فرد مسلم ينحدر من سلالة عربية أو غير عربية أن يعتز به علي غيره من الناس أجمعهم (أي غير المسلمين)، قال الله تعالى: (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)[62]. ففي هذه الآية الكريمة يؤكد الحق سبحانه وتعالى لرسله أن أمتهم أمة واحدة، ولقد قال كثير من المفسرين أن الأمة هنا بمعني الملة أي وأن هذه ملتكم ملة واحدة [63].

ويرى بعض المفسرين أنه لا مانع أن يكون معنى اللفظة على ظاهره ويراد به الأمة، وهم أتباع الرسل، فهم على الحقيقة أمة واحدة عربيهم وأعجميهم، دينهم واحد وإلههم واحد، لا يفرقون بين أحد من رسله، فلماذا لا يكونون أمة واحدة؟ وإن قطعت بهم الأوطان وتباعدت الأزمان، فلتذب هذه الفوارق كما ذابت من قبل في خطاب الرسل بخطاب واحد، وهو دعوة من الله لأهل التوحيد عامة أن يعتصموا بحبل الله جميعا.

ويقرر الله تعالى في قوله: (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) أصل التوحيد وهو أن يتقي الله ويعبده وحده اى الرب الذي خلق ورزق والذي يحيي ويميت والذي بيده الأمر وهو على كل شيء قدير وهو الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ،هو أهل التقوى، وأهل المغفرة، يقول الله تعالي لرسله ولأممهم التابعين لهم(وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) أي خافوني ولا تعبدوا إلا

إياي، والتقوى جماع كل خير فهي عنوان لجميع خصـــال الإيمان ما ظهر منها وما بطن، وهي وصية الله لرسله وللأولين والآخرين [64]

عن النواس بن سمعان – رضـى الله عنه- قال: قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم: وضـرب الله مثلا صـراطاً مستقياً وعلى جنبي الصـراط سـوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب سـرر مرخاه، وعلى باب الصـراط داع يقول: ادخلوا الصـراط جميعاً ولا تعودوا، وداع يدعو في الصـراط فإذا أراد الإنسـان أن يفتح شـيئا من تلك الأبواب قال "ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله من قلب كل مسلم، أي عربي أو اعجمي).

إن هذا الحديث يبين وحده الصراط واستقامته، والآية التي نحن بصددها داع الله للناس تبعا أولهم وأخرهم، قويهم وضعيفهم ، فالطريق واحد، والداعي واحد والأمم قوافل في الطريق، ولكل قافلة هاد من قبل الله، وقافلتنا هذه آخر القوافل، وهادينا رسولنا خاتم الرسل إلى الله عليهم أجمعين، وما هو إلا واحد منهم. هذا ما قدمته الثقافة الإسلامية للعرب وتغيرهم ممن دخل في الإسلام، ولذلك أن الرسول الأكرم -صلى الله عليه وسلم –نهى عن الخروج عن منهاج هذه الثقافة الإسلامية وعن المسلم لغيره من غير المسـلمين فيما لا منفعة فيه ولا خير، ونهى عن التشـبه بأخلاقهم وعاداتهم، لقد ورد ذلك في أحاديث نبوية كثيرة نذكر منها من أجل الاستدلال لا الحصر قوله- صلي الله عليه وسـلم- (من تشـبه يقوم فهو منهم) [65]، ومنها قوله أيضـاً: (ليس بمأمن من بغيرنا) [66]، ومنها أمره صـلى الله عليه وسلم بالسحور بالنسبة للصـائمين حيث قال: (تسحروا فأن في السحور بركة، وإن اليهود والنصارى لا يتسحرون) [67].

وهنا أود أن أشير إلى مشكلة من المشكلات التي يعاني منها المجتمع الاسلامي أو افتقاد الكثير منهم للشـخصـية الإسـلامية المثالية التي تنشـدها الثقافة الإسـلامية، وصـــياغتهم من الأخلاق المنحرفة، والأفكار الهدامة المخربة التي لفظت بها أمواج بحور الحضـــارة الغربيـة. أنهم في واقعهم حـاليـا- كمـا يقول بعض المفكرين- لم يستطيعون حتى الآن أيديهم علي ابعاد شخصـيتهم، وحقيقتها وأهدافها. إن الأمة ما لم تحدد ماهيتها، وتتأكد من أهدافها، فإن سيرها يكون ضربا على هدى، ومن هنا تخلف المسـلمون عن المشـاركة في السـيطرة على الطبيعة وامتلاك أسـباب التقدم المادي والاقتصادي، وكان الواجب أن تتوزع اتجاهاتهم واختلاف وسائلهم التي تذكر للارتفاع بمجتمعاتهم إلى مستوى أفضل [68].

ومن المعلوم أن الاستعمار الغربي له جرائم كبرى، من بينها جهده في صهر الشخصية الإسلامية وتذويبها من نفوس المسلمين، والقضاء على أخلاقهم وجهودهم.

قال العلامة المودودي: (إن الاستعمار الغربي على الرغم مما صبه على المسلمين من البطش والتنكيل وما أنزله بهم من ضروب الفتن، وما دمر من حكوماتهم، واحتل من أراضيهم إلا أن هذه الأعمال الإجرامية كلها لا تساوي ظلما ارتكبه الاستعمار الغربي، حيث فرض علي أنظمته التربوية الحديثة الغربية من معتقداتنا وتقاليدنا، لقد حاول بهذه الطريقة أن ينشئ فينا أجيالاً تذكر لشخصيته الإسلامية، وتبغض دينها، وتبصق على تقاليدها، وتنظر إلى تاريخها الحافل بالاتحاد نظرة احتقار، وجعلها تقتنع بثقافة غيرها وتؤمن بأن نظام حياتها الفكرية والعلمية، أصبح باقيا لا يصلح للعصر الحاضر حتى رسخ في أذهانها وقلوبها، أنه إذا كانت هناك معارف فهي التي تدون في الغرب، وإذا كانت هنالك حضارة فهي التي أنشأها الغرب، وإذا كانت هناك أخلاق فهي التي يتحلي بها الغرب!) لذا فمن واجب المسلم المثقف أن يعلم علم اليقين أن غاية الوسائل الثقافية الغربية اليوم، ومن يتولى هذه الوسائل بمختلف أجهزتها- من بعض المسلمين مع الآسف الشديد- هدفه الوصول إلى وضع العبث، ليكون أساساً لشكه في مستقبله وأفكاره وقيمه.

قال بعض المفكرين: (والواقع يشهد أن الوضع الثقافي والسياسي والاجتماعي في العالم الإسلامي والعربي منهم بوجه خاص قد بلغ حد العبث، الواقع المكشوف [69].

إن المتأمل في الثقافة الغربية يجد جل اهتمامها- بالمادة- سلوكاً وهدفاً وغاية، بينما اقتضت الثقافة الإسلامية الأصلية بامتيازات كما أشرنا إليها في المطلب السابق. فلقد بلغ بالحياة في الحضارة الغربية أنها وصلت أرقاماً كثيرة، وأصبحت السعادة مقيسة بعدد الوحدات الحرارية والهرمونات، فلم يعد أحد يدرك معنى الفضيلة المطلقة، لقد مات بينهم اتباع العدالة إلى جانب موت مفهوم الفضيلة، وصارت الحياة الاقتصادية إلى نفس المصير يوم وجد بعض الناس في أنفسهم الجرأة، ليؤكدوا أن (التجارة هي السرقة الحلال)[70]، وإلى جانب المادية الطاغية في ثقافة الغربيين وحضارتهم نجد فيها طغيانا آخر هو العنصرية البغيضة التي يكفينا تأكداً لها حديث (ريتان) عنها في قولته: (جنس واحد بلد السادة والأبطال والجنس الأوربي، فإذا ما نزلت بهذا الجنس إلى مستوى الحظائر التي يعمل بها الزنوج والصينيون فإنه يثور.

ومصداق (رينان) نجده واضحا قائما في الصراح العنصري بين البيض والسود في أمريكا وروسيا) [71]، ولذا فإن المعركة لصد هذه التحديات ومقاومة

العدوان وإحباط الأهداف الخطوة، توجب علينا أن تخوضها من جميع وجوهها وجوانبها، كما خاضتها امتنا في فجر الدعوة الإسلامية، وفي فترات مضيئة من تاريخها، مع ملاحظة اختلاف الخطط والأساليب وصور التحدي وأشكاله، وما يقتضي التصدي له من أهمية تامة، واستعداد كامل وأخذ بالوسائل الناجمة والأساليب المجدية[72].

ذلك ،لأنه أي أصحاب العداء لا يعرفون إلا ديناً واحداً هو عبادة الرقي المادي والاعتقاد بأنه لا غاية في الحياة إلا أن يجعلها الإنسان حرة طليقة من قيود الطبيعة، ويؤكد الفيلسوف البريطاني (برترأندراسل) كلامنا هذا، فيعلن بصراحة (أن الحضارة الحديثة أهملت الاهتمام بالروح، وأن العلم اليوم بحاجة إلى دين جديد يجعل غايته الإنسان). قال الأستاذ محمد أحمد جلال (ومن سوء الحظ أن كثيراً من مفكري المسلمين المعاصرين قد أعانوا أعداءنا الأنداء على أنفسنا وعلى ديننا، وعلى ثقافتنا وأمتنا المسلمة، فقاموا بتسلم الشبهات والمفتريات الغربية مصدقين لها، نتيجة لتأثرهم بالثقافة الغربية وإعجابهم بكل ما يقوله أساتذتهم الغربيون[73].

إذن فلابد من مقاومة هذا التحدي من تصفية مناهج التعليم وأوضاع النشاط الاجتماعي وأنظمته وبرامج وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية من شوائب ومعائب التقليد والاقتباس من الثقافة الغربية الملحدة، وغيرها من الثقافات المعادية لنا، مع الأخذ بأيدي شبابنا وطلاب العلم إلى وجهة إسلامية خالصة، ولا مانع من الانتفاع بالجديد الطيب من علوم العصر الحديث واكتشافاته ومميزاته الحضارية وصناعاته من غير تفريط في شيء من أوامر إسلامنا الحنيف أو زواجره إلى جانب معرفة المعالم الأصلية لشخصيتنا الإسلامية الفريدة، وتحديدها والاعتزاز بها والحفاظ عليها مع اتجاهنا المخلص نحو ثقافتنا الإسلامية، عقيدة وشريعة وخلقاً وسلوكاً.

بهذا نستطيع- بتوفيق من الله تعالى وعون منه- أن نعيد لنا كمسلمين شخصيتنا الأصلية وثقافتنا الفريدة، ومدنيتنا المجيدة، ومجتمعنا الرشيد.

الخاتمـــة:

لقد تبين لنا من خلال المطالب الخمســـة حول هذا البحث المهم (مفهوم الثقافة الإســـلامية) أن الثقافة لها مدلولات لغوية ومدلولات اصـــطلاحية، وقد بينت مفهوم الثقافة في الجانب اللغوي وفي الجانب الاصطلاحي كمدخل لهذا البحث مستندأفي ذلك علي المصـــادر الرئيســـية للثقافة الإســـلامية وهي إنســـانية عالية فهي عقيدة وعمل، ومســـجد ومعمل إلى جانب المدلولات الصـــحيحة للثقافة الإســـلامية عن الله والإنســـان والكون والحياة، وما يتطلبه هذا الكون من إعمار، لأن الإنسان سيستخلف فيه.

ثم بينت مزايا الثقافة الإسلامية ذلك ،لأنها فريدة عالية شاملة لجميع هذه الحياة حيث تنظر للناس بمنظار واحد (إن أكرمكم عند الله اتقاكم × 74)، وذكرت أن ما تمتاز به هذه الثقافة- أيضا -بأنه الدين الإسلامي الذي هو قوامها نظام كامل شامل بكل مقدماته وبكل تجاربه عواقبه إلى جانب شـــموله بدأ من العقيدة الإســـلامية التي تعتبر المزية الخاصـــة وما ورد من مزايا أخرى جاءت بها الثقافة الإســـلامية ؛ لأنها نتاج مبادئ الإســـلام وقيمه ومثله التي لا تتمثل في مجرد مجموعة من القيود والضـــوابط الرادعة إلى آخره وإنما هي قوة بناءة وحركة دافعة إلى النمو والتطرق.

ثم بينت في المطلب الخامس ما أفرزته الثقافة الإســـلامية من تكوينها للعرب ذلك أن القرآن الكريم نزل بلسانهم وعلى شخصية رجل من بينهم هو رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم مؤكدا أن الثقافة الإسلامية ثقافة متميزة باتجاهاتها وسلوكياتها، وهي التي كونت الشخصية العربية والأعجمية المسلمة، لذلك من واجب كل مسلم أن يعتز بهذه الثقافة وأن يفخر بها؛ لأنها ربانية التلقي، نبوية التوجيه، تاريخية النسب.

هذا ما جاد به البراع والله تعالى أسأله أن يوفقني إلى القول الصائب الحق وأن يجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه والله سبحانه سميع الدعاء.

الهوامش :

آيات القرآن الكريم برواية حفص

1) المعجم الوسيط- طبعة معتمدة من مجمع اللغة العربية- القاهرة- 1999 ص85
2) سورة البقرة آية رقم 191
3) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي المجلد الثاني ص 351
4) معني الثقافة في الاصطلاح الحديث- للأستاذ محمد أحمد جمال ص13
5) الأستاذ العقاد
6) معني الثقافة في الاصطلاح الحديث ص 14 بتصرف
7) سورة الشعراء الآيات 192، 193، 194، 195
8) في ظلال القرآن للعلامة سيد قطب المجلد 6 ص 240
9) سورة فصلت الآية 42
10) سورة الإسراء الآيات 9، 10
11) المجلد الثاني من تفسير ابن كثير للشيخ محمد الصابوني ص 366
12) سورة المائدة الآية 87
13) مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي صالح ص61
14) المرجع السابق ص 61 بتصرف
15) سورة الحجرات الآية 13
16) رواه الطبراني والبزار
17) سورة الإسراء آية 106
18) تفسير التحرير والتنوير الجزء 14 محمد الطاهر ابن عاشور ص231
19) سورة الحشر الآية 7
20) سورة النجم الآيات 3، 4
21) سورة آل عمران الآية 31
22) سورة الأحزاب الآية 21
23) سورة النور الآية 63
24) رواه البخاري ومسلم
25) رواه أبو داوود والترمذي وصححه
26) صحيح البخاري
27) الثقافة بمفهومها الحضاري للأستاذ محمد أحمد جمال ص17
28) المستقبل لهذا الدين- للعلامة سيد قطب
29) هل نحن مسلمون – للأستاذ محمد قطب ص 65 بتصرف
30) محاضرات في الثقافة الإسلامية المرجع السابق ص17
31) سورة الرعد أية 16
32) في ظلال القرآن- لسيد قطب المجلد الخامس ص 83
33) سورة الحجر آية 86
34) سورة يس آية 81
35) سورة الفاتحة آية 5
36) تفسير التحرير والتنوير المجلد الأول لسماحة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ص182
37) سورة الذاريات آية 56
38) سورة آل عمران آية 31
39) تفسير التحرير والتنوير- المرجع السابق ص 183
40) سورة إبراهيم الآيات 32، 33، 34

41) في ظلال القرآن للعلامة سيد قطب المجلد 5 ص 167
42) المرجع السابق ص 167
43) المرجع السابق ص 167
44) سورة الأنعام آية 165
45) سورة النور آية 55
46) سورة يونس آية 14
47) سورة الحديد آية 7
48) سورة فصلت آية 46
49) سورة الزلزلة الآيات 7، 7
50) سورة الأنفال آية 24
51) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير- الجزء الثاني ص 297
52) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير- الجزء الثاني ص 297
53) سورة الأحزاب آية 21
54) سورة الحجرات الآية 13
55) تفسير التحرير والتنوير لأبن عاشور المجلد 26 ص 258
56) محاضرات في الثقافة الإسلامية للأستاذ محمد أحمد جمال ص 18
57) الإسلام في القرن العشرين للأستاذ العقاد ص 25
58) سورة المائدة الآية 3
59) لمحات في الثقافة الإسلامية للأستاذ عمر عودة الخطيب ص 63
60) محاضرات في الثقافة الإسلامية المرجع السابق ص18
61) صور من حياة الصحابة للدكتور عبد الرحمن رأفت ص 12- 13
62) سورة المؤمنون الآية 52
63) في رحاب القرآن الكريم للشيخ بيوض بن عمر ص 176
64) المرجع السابق ص 177
65) رواه أبو داوود في سننه
66) رواه الترمذي
67) صحيح البخاري
68) مقالة للدكتور عبد الكريم عثمان ص 15
69) محاضرات في الثقافة الإسلامية للأستاذ محمد أحمد جمال ص 21
70) وجهة العالم الإسلامي للأستاذ مالك بن نبي ص 8
71) محاضرات في الثقافة الإسلامية المرجع السابق ص 22
72) محاضرات الثقافة الإسلامية- الأستاذ محمد أحمد جمال ص 21
73) مقالة للأستاذ أحمد محمد جلال ص3
74) سورة الحجرات آية 13